

في النهي عن إفسادها بالتعاليم الضارة بها في كل مناسبة ؛ وقد زاد غاؤها بحواظ قوية من ضروب مختلفة ، فنبه النفوس أولاً إلى ضرر التقليد الأعمى للآباء والقادة ، وأمر بطلب الدليل المقتنع على كل عقيدة بتقديمها داع لنحلة ، وصرح بأن الإيمان التقليدي لا يقبل ، وأن الإنسان مسئول عن عمله الشخصي ، وأن أحداً لا ينسئ عنه شيئاً ، وأن أكثر من في الأرض لا يقيمون إلا الظنون والخزعبلات الموروثة ، وأن الدين يهتدى إليه الإنسان على ضوء العقل الناضج والعلم المحص ، وأن الإنسان يترقى في معارج الهداية بقدر ما يخلص في طلب الحق ، ويتجرد من الأهواء والأوهام ، ويثابر على النظر والفكر ، ويستمتع لكل كلام فينتج أحسنه ، ولا يأنف أن يأخذ بحقيقة يأتيه بها من يخالفه في دينه ولغته ، وألا يصبر على قول إذا ظهر له وجه الصواب في تركه ، وألا يتعصب لمذهب أو رأى تنصباً يعميه عن نظر ما عسى أن يكون فيه من الثم أو يرد عليه من الاعتراضات ، وأن يكون دائماً حريصاً على استقلاله العقلي وحرية الفكرية ، مستعداً لأن يصحح ما يتضح له أنه مخطئ فيه ، مستعداً أن ليس بعد الحق إلا الضلال .

وبناء على هذه السكيات يرى الإسلام أن الناس ماداموا كلهم متشابهين في الخلقة ، ومتساوين في الميول والعواطف ، فلا يصح أن تكون لهم أديان متعددة لم يفرق بينها إلا أهواء القادة وأوهام الزعماء ، فإنما هو دين واحد ، دين الفطرة المؤيد بالعقل والنظر ، النزه عن الظنون والوساوس ، الجامع لكل ما حصلته الإنسانية في أدوار حياتها من مذخورات أدبية ، وفتوحات روحية ، فقال تعالى : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتي موسى وعيسى ، وما أوتي النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما هم في شقاق ، فسيكفيكم الله وهو السميع العليم » وقال : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء » وأما من ناحية الحركة العقلية : فإن الإسلام قد رفع من شأن العقل ونوه بسلطانه ، إلى حد أنه اعتبر الذين لا يقيمون له وزناً في تقدير قيمة عقائدهم دواب تحقيراً لهم ، فقال تعالى : « إن شر

رِسَالَةُ الْإِسْلَامِ الْإِنْشَاءِيَّةِ

لِلْأَسَاتِذَةِ مُحَمَّدٍ وَفَرِيدٍ وَجَبْدِي



وقر في عقول
أهل العلم الفريدين ،
وعقول من نهل
من حياضهم
من الشرقيين ،
أن الأديان التي
احتضنت الجماعات
البشرية منذ
نشوئها إلى عهد
قريب قد انتهى
دورها ، وانقضت
رسالاتها ، لعدم

وجود نفع يرجى للجماعات الراهنة منها . وكثيراً ما أسأل : هل رسالة الإسلام لا تزال قائمة ؟ فأجيب : نعم ، وأبدي الدهر . ولست في تأكيد هذا بواقع تحت سلطان العقائد الوراثية ، ولا بمخدوع بالأوهام التقليدية ، ولكن مستند فيه إلى علم ، وماض فيه على بيئة ذلك أن كل مجموعة من التعاليم يحكم عليها بآفة خفاء دورها ، حين تستنفد الحياة كل ما فيها من غذاء يناسبها ، أو تتطور العقول وتظل هي جامدة لا تماشيها ، فتترفع عن الأخذ بها ؛ ولكن تعاليم الإسلام لا تجري عليها هذه السنة ، فقد جاءت بالمثل العليا في كل ناحية من نواحي الحركة الروحية والعقلية والاجتماعية ، فكيف يعقل أن تنقضي له رسالة ، أو تزول له دولة ؟

فأما من ناحية الحركة الروحية فإن الإسلام يصرح بأنه دين الفطرة الإنسانية ، وهذه الكلمة أسمى ما يعبر به عن دين يتخذ خلود البشرية . فإن الفطرة مودع فيها شريعة النوع كله بالقوة ، وهي واحدة في جميع الأفراد لا تمتد إن لم تفسد يدس تعاليم خارجية إلى النفس يحولها عن سمتها الطبيعي . وقد شدد الإسلام

الحروب والنارات بينها ، وما تحقق من روح التكافل والتعاون فيها . فالإسلام لا يترف بفرق بين عربي وعجمي وصيني وتركى ، وحاوى وفرنسى الخ ، فالناس كافة فى نظره أولاد آدم وحواء ، وقد خلقوا ليتعارفوا ويتعاونوا ، لا ليتناكروا ويتناحروا ، فقال تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير »

فالإسلام يقرر أنه مادام النوع البشرى واحداً ، فيجب أن يكون له دين واحد وغرض واحد فى الحياة واحد . وأنت ترى أن العالم كله رغمًا عن طغيان العاطفة القومية فى هذا العصر ، وازدياد عوامل الفرق والخلاف بين الشعوب ، سيسطر إلى التوحيد ، وستكون هذه الموجة نفسها من الخلاف والتفرق من أكبر العوامل فى إيجاد تلك الوحدة المرجوة ، لأنها ستثبت بدليل محسوس أن هذه الوحدة هى العامل الوحيد لنجاة المدنية من التلاشى .

إذا اعتبرت كل ما ذكرته هنا رأيت بما لا يدع شكاً أن رسالة الإسلام لا تزال باقية ، وأنها ستبقى ما بقى النوع الإنسانى على الأرض . وإنما تزول التعاليم إذا كانت مقدرة على أحوال معينة ، متى ارتقت أصبحت تلك التعاليم لا تسد حاجة المجتمع فتزول ، أو ثبت فسادها بترق العقول . فتلاشى مع كل ما يتلاشى من أمثالها

ولكن ما يبناه من تعاليم الإسلام هنا لا يعقل أن يزول ، لأنها أصول أدبية خالدة ، ومثل عليا لا يمكن التماهى فى سموها ، وفى تأدى العالم فى المستقبل إلى محاولة تحقيقها .

محمد فريد ومبرى

الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » . وعد الذين لا يستخدمون حواسهم الظاهرة فى النظر والتأمل ، ومشاعرهم الباطنة فى الاستدلال والتفكير ، أنما هم أبل أضل . قال الله تعالى : « لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام ، بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون »

وشفع الإسلام كل هذا بالتحضيض على طلب العلم والتحريض على تصيد المعرفة من كل المظان التى يتخيلها العقل ، من النظر فى الكون والتأمل فى الكائنات ، والتنقيب عن مساتير الخلقية والسريان فى سرائر الوجود ، فى السماء وأجرامها ، فى الأرض وعوالمها ، فى الحيوانات وعجائبها ، فى النباتات وبدائعها ، كل ذلك لبناء الشخصية الإنسانية وإبلاغها إلى ذروة الكمال المقدر لها . ولقد رفع من شأن العلم فى نظر الإنسان إلى حد أنه حصر فهم آيات الله وإدراك مراميها ، وفهم منازيها فى أهل العلم ، فقال تعالى : « إنما يحشى الله من عباده العلماء » وقال : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا المالمون » وقال : « إن فى ذلك لآيات للمالين » بكسر اللام فهما . ولا يمكن أن يتخيل أحد أن يتجاوز التنويع بشرف العلم هذا الحد

هذا ولم يغفل الإسلام فى تطلب ترقية الشخصية الإنسانية شيئاً ، حتى الضرب فى الأرض ، وتعرف أحوال الأمم وطبائعها ، ودراسة ما هى عليه من شرائعها وعاداتها ، وناهيك بأثر ذلك فى ترقية النفس البشرية ، فقال تعالى : « أفلم يسيرا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها . أو آذان يسمعون بها ، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » . وقد كرر الحفز على السياحة مراراً كثيرة

وأما من ناحية الحركة الاجتماعية فإن الإسلام قد بلغ بها الأفق الأعلى ، وأوجد فى رابطة الاجتماع تجديداً لم تحلم به الإنسانية بعد ، ولا مناص فى أنها ستعمل عليه فى المستقبل ، فقد جعلها الإسلام مؤلفة من الأصول الأدبية ، والقواعد الخلقية ، لا كما كانت قائمة عليه من الحاجات الجسمية ، والمقومات القومية . فكل الإسلام ذلك لتشمل تلك الرابطة النوع البشرى كافة ، وتلاشى فى طريقها الفروق الجاهلية القائمة على الجنسية ، والخلافات اللغوية واللونية التى كانت ولا تزال عوامل شقاء فى بنية الإنسانية ، بما تثيره من

